كلية : الآداب

القسم او الفرع : اللغة العربية

المرحلة: الثانية

أستاذ المادة : د. خالد محمد ياسين

اسم المادة باللغة العربية : الكتاب القديم

اسم المادة باللغة الإنكليزية : old book

اسم المحاضرة التاسعة باللغة العربية: النصبة

اسم المحاضرة التاسعة باللغة الإنكليزية:alnusba

النصبة :

ويقول: "وأما النصبة فهي الحالُ الناطقة بغير اللفظ ، والمشيرة بغير اليد وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وفي كل صامت وناطق، وجامد ونام، ومُقيم وظاعن، وزائد وناقص فالدلالة التي في الموات الجامد كالدلالة التي في الحيوان الناطق. فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء مُعرِبةٌ من جهة البرهان، ولذلك قال الأول:

((سَل الأرض فقُل مَنْ شَقَّ انهارك، وغرس اشجارك، وجنى ثمارك ؟ فإن لم تجبك حواراً، أجابتك اعتباراً)).

وقال بعض الخطباء: ((أشهد أن السموات والأرض آيات دالات وشواهد قائمات، كل يؤدي عنك الحجة ويشهد لك بالربوبية، موسومة بآثار قدرتك، ومعالم تدبيرك التي تجليت بها لخلقك، فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما أُنسها من وحشة الفكر، ورَجم الظُّنون، فهي على اعترافها لك وافتقارها إليك شاهدة بأنك لا تحيط بك الصفات، ولا تحدك الأوهام، وان حظ الفكر فيك الاعتراف لك)).

وقال خطيب من الخطباء، حين قام على سرير الإسكندر وهو ميت:

" الإسكندر كان أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوْعَظُ مِنْه أمس "

ومتى دل الشيء على معنى فقد أخبر عنه وإن كان صامتاً، وأشار إليه وإن كان ساكناً. وهذا القولُ شائع في جميع اللغات ، ومتفق عليه مع إفراط الاختلافات.

وقال عنترة بن شداد العبسي وجَعَلَ نعيب الغُراب خيراً للزَّاجِر :

حرق الجناح كان لحيّى رأسهِ جلَمَان بالأخبار هَش مولع

الحرق: الأسود - شبه لحييه بالجلمين، لأن الغراب يُخبر بالفرقة والغربة ويقطع كما يقطع الجلمان. وأنشدني أبو الرديني العكلي، في تنسم الذئب الريح واستنشائه واسترواحه:

يستخيرُ الرِّيح إذا لم يَسمَع بمثل مقراع الصفا الموقع

المقراع: الفأس التي يُكسر بها الصخر، والموقع المحدد. يقال وقعت الحديدة إذا حدثتها . وقال آخر ، وهو الراعي:

إنَّ السَّمَاءَ وَإِنَّ الرِّيحَ شاهدة والأَرض تَشْهَدُ والأَيَّامُ والبَلَدُ

لقد جزيت بني بدر ببغيهم يوم الهباءة يوما ماله قود

وقال نصيب في هذا المعنى ، يمدح سليمان بن عبد الملك:

اقول الركب صادرين لقيتهم قفا ذَات أوشال ومولاك قارب

قفوا خَبُرُونَا عن سليمان إنتي لمعروفه من اهل ودان طالب

فعاجوا فاثنوا بالذي انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

وهذا كثير جداً.

وهي الحال الدالة من غير نطق أي أنها إشارة صامتة ومعبرة عن مكنونها بمظهرها الخارجي الذي يفضي الى باطنها وبحث المتأمل على استكناهه واستبطانه.

ومعنى هذا أن الجماد والموات والسكون في الطبيعة والكون تعبر عن نفسها بإشارة من جنسها هي الحال الدالة أو النصبة المتكلمة في صمت لأنه (متى دل الشيء على معنى فقد اخبر عنه وإن كان صامتاً و اشار إليه وإن كان ساكناً) .

وعلينا أن نتسأل تبعا لهذا عن اي شيء تعبر مظاهر الكون والطبيعة من اجرام وأفلاك وأنهار وأشجار .... الخ

أنها تدل في عرف أبي عثمان على الحكمة الإلهية المودعة فيها أي على الدقة المتناهية لخلقها ونظامها وبالتالي على أنها لم تخلق عبثاً أو صدفة، بل أنها من صنع خالق مدير جعلها على ما هي عليه من حال الصمت برهاناً قائماً يشهد بان لها موجداً وشهادة بينة على إبداع هذا الموجد وقدرته الفائقة المطلقة.

ويعد كتاب (الدلائل والاعتبار) اوضح اثر جاحظي اعتمد فيه صاحبه على الدلالة بالنصبة، كي يقيم الدليل على أن الكون لم يوجد بالصدفة وإنما هو من صنع الهي وتدبير رباني ذلك ان هذا الكتاب كم يتضح من مضمونه العام تأمل في العالم أي استكناه للدلالة بالنصبة أو الحال بدءاً بالسماء ولونها والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والأرض والجبال مما هو عظيم في خلقه وجليل في صنعته

وانتهاء بالطير والنحل والمناكب مما هو دقيق وغريب في مظهره وحياته فيشهد على الإبداع الإلهي غير المتناهي.

وكثيراً ما ردد الجاحظ في هذا الكتاب تعابير من مثل قوله ((فأما مسير القمر ففيه دلالة واضحة جليلة)) موضحاً أن النصبة دلالة تقضي بالمتأمل إلى إدراك مكنونها وأن الحال بيان يؤدي بالمتبين إلى الإقرار بالوجود الإلهي في هذا الكون لابد له من صانع مبدع وخالق مدبر.

ومعنى هذا أن النصبة أداة تواصل تحمل رسالة صامتة أو خطاباً بالحال .. ومصدر الرسالة او باعثها هو الله سبحانه خالق العالم ومتلقيها هو الإنسان الذي يتأمل الكون من حوله فيستخلص منه وجود الحكمة الإلهية . ويقول الجاحظ " سل الأرض فقل: من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فإذا لم تجبك حواراً اجابتك اعتباراً".

ويمكن اعتبار النصبة هنا أداة تواصل بين الانسان والقوة الغيبية التي تعتبر سر العالم وحقيقته الخفية أنها اشارة للدلالة على الله.

وقال علي رحمه الله : " قيمة كل امرئ ما يحسين". فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية، ومجزئة مغنية، بل لوجدناها فاضلةً عن الكفاية، وغير مقصرة عن الغاية. وأحسن الكلام ما كان قليلة يُغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه وكأن الله عزو جل قد البسه من الجلالة، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله ، فإذا كان المعني شريفاً واللفظ بليغاً، وكان صحيح الطبع بعيداً من الاستكراه، ومنزها عن الاختلال مصوناً عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في الثرية الكريمة. ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة، أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد، ما لا يمتنع من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة.

وقد قال عامر بن عبد قيس: "الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الأذان".

وقال الحسن رحمه الله ، وسمع رجلاً يعظ ، فلم تقع موعظته بموضع من قلبه، ولم يرق عندها فقال له : يا هذا، إن بقلبك لشرا أو بقلبي".

وقال علي بن الحسين بن علي رحمه الله: "لو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل الاستبانة، وجملة الحال في صواب التبيين لأعربوا عن كل ما تخلج في صدورهم، ولوجدوا من برد اليقين ما

يغنيهم عن المنازعة إلى كل حال سوى حالهم. وعلى أن درك ذلك كان لا يخدمهم في الأيام القليلة العدة، والفكرة القصيرة المدة، ولكنهم من بين مغمور بالجهل، ومفتون بالعُجب، ومعدول عن باب التثبت، ومصروف بسوء العادة عن فضل التعلم.

وقد جمع محمد بن علي بن الحسين صلاح شأن الدنيا بحذافيرها في كلمتين، فقال: " صلاح شأن جميع التعايش والتعاشر، ملء مكيال ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل"، فلم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير، ولا حظا في الصلاح، لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شيءٍ قد فَطن له وعرفه.

وذكر هذه الثلاثة الأخبار إبراهيم بن داحة ، عن محمد بن عمير . وذكرها صالح بن علي الأفقم، عن محمد بن عمير، وهؤلاء جميعاً من مشايخ الشيع، وكان ابن عمير اغلاهم.

وأخبرني إبراهيم بن السندي، عن علي بن صالح الحاجبة عن العباس ابن محمد قال، قيل لعبد الله بن عباس: أنَّى لك هذا العلم؟ قال :" قلب عقول ولسان سَؤول". وقد رووا هذا الكلام عن دَغفلِ بن حنظلة العلامة وعبد الله أولى به منه . والدليل على ذلك قول الحسن: إن أول من عرف بالبصرة ابن عباس، صعد المنبر فقرأ سورة البقرة، ففسرها حرفاً حرفاً، وكان متجاً يسيل غربا.